عنوان البحث: الواقعية النقدية في الرواية السياسية الكورية والمصرية ما بعد الحرب

(رواية "إنسان بلا قيمة" ل "سون تشانج سوب" ، و"الكرنك" ل "نجيب محفوظ" نموذجًا)

(دراســــــــة مقارنـــــة)

خطة بحث مقدمة لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير من قسم اللغة الكورية بكلية الألسن جامعة عين شمس

مقدمة من الطالبة: إيمان شاكر فريد الوهيدي

تحت إشراف : د / تشانج يونج سو - دكتوراه في الأدب - قسم اللغة الكورية

أ.د / أميمة عبد الرحمن محمد أستاذ الأدب و النقد بقسم اللغة العربية

المقدمة:

تمتزج السياسة و لا شك بمعظم مناحي حياتنا المعاصرة ، و من ثم أطلقت المقولة الشهيرة : لا شيء يخلو من الأيديولوجيا.

لقد أثرت حرب الخامس و العشرين من يونيو 1950-1953 بطريقة مباشرة و صادمة في المجتمع الكوري الجنوبي، ولقد جاء ذلك التأثير على شاكلتين : الأولى هى التأثير المادي ، والثانية هى التأثير النفسي ، حيث كان الضرر الاقتصادي الواقع على كوريا كبيرًا ، و لم يقل عنه حجمًا الضرر النفسي الذي لحق بالشعب الكوري بأكمله.

انعكس أثر ذلك مباشرة على الأدب ؛ إذ إن الأدب هو مرآة المجتمع ؛ فجاء الأدب إما معبرًاعن ذلك الواقع ساردًا له بصورة إيجابية من خلال نموذج البطل الإيجابي الذي يقاوم واقعه المؤلم محققًا نصرًا ذاتيًا رمزيًا من خلال سلوك الشخصية التي رغم المعاناة تفرض إمكاناتها على الواقع ،أو بين أعمال روائية أخرى يغلب عليها التشاؤم ، والقتامة ، و ينزلق أبطالها مع أزمة الحرب التي تحيق بهم ، و تنتهي بهم نهاية تراجيدية من خلال نموذج البطل السلبي .

و الحال كذلك في الرواية السياسية المصرية التي تناولت الفترة ما بين عامي 1967 و 1973 ؛ حيث عالجت الرواية قضية الصراع مع العدو ، و الأثر السيء للنكسة سياسيًا ونفسيًا على الشعب العربي كله ، كذلك القضايا السياسية الأخرى كما سيأتي.

جاء التناول السياسي هنا على طريقتين أيضا ؛ إما الطريقة الرمزية ، و ذلك بتوظيف بناء الشخصيات بأن تمثل كل شخصية لتيار سياسي أو اجت ماعي في الواقع المصري ، أو بالتعبير المباشر عن القضايا السياسية ، و من أهمها الصراع مع العدو، و الديموقراطية ، والعدالة الاجتماعية.

و قد تم تناول ذلك كله من خلال تياري الواقعية الاشتراكية ، والواقعية النقدية في الرواية السياسية في فترة ما بعد الحرب في كوريا و مصر ؛ حيث ركزت الرواية على القضايا السياسية الثلاث ، و طرحت إما رؤية ايجابية متفائلة أو نقدية سوداء ، و يركز هذا البحث على الواقعية النقدية لقلة الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع ، و قد اختار البحث للتطبيق رواية "إنسان بلا قيمة" ل "سون تشانج سوب"، ورواية "الكرنك" ل "نجيب محفوظ" نموذجًا لاتجاه الواقعية النقدية في الرواية السياسية.

الفصل الأول: الواقعية النقدية في رواية "إنسان بلا قيمة" ل "سون تشانج سوب"

تأثير الحرب على الأدب في كوريا :

تسبب العنف الذي ولدته حرب الخامس و العشرين من يونيو في توليد الروح الانهزامية لدى الانسان ، و الإلقاء به في الفراغ الانساني . تولد لدى شباب الكتاب الصغار - الذين كان لزامًا عليهم أن يواجهوا ذلك الواقع المزري - روح المواجهة و التحدي التي انعكست على أعمالهم في تلك الفترة.

و لهذا فقد أطلق بعض النقاد على أدب تلك المرحلة أدب ما بعد الحرب بسبب مشابهته لسمات "أدب القلق" أو "أدب اليأس" أو "أدب الفراغ" ، و لكن بإمعان النظر يمكننا القول إن تلك المسميات غير دقيقة ؛ إذ تتناول المضمون سطحيًا فقط دون البحث في البنية العميقة ؛ حيث رأت أن أدب تلك المرحلة قد نزع في معظمه إلى اليأس و الاستسلام ، و الصحيح أن أدب تلك المرحلة مال في أغلبه إلى تحدي الظروف الصعبة و محاولة التغلب عليها.

و يقول يو تشول سانج حول هذا الرأي : "ربما نرى أدب فترة ما بعد الحرب يميل لليأس و الخنوع للظروف في بعض الأعمال الفردية أو في آراء لكتاب معينين ، و لكن ذلك لا يمثل أدب تلك المرحلة ؛ إذ مال أدب تلك الفترة إلى التفكير بايجابية في نقد المجتمع".[1]

نستنبط من ذلك أن الكاتب يقوم بوصف ما أمامه من واقع ، و يصارع من أجل أن يتغلب على هذا الواقع ، و يوظف أعماله الفنية لتخدم ذلك الهدف.

"مما لاشك فيه أن الحرب تزلزل بل و تدمر منظومة القيم و الأخلاق للمجتمع ، ليس هذا فقط ، بل و تحدث تغييرات جذرية في الظروف الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، و من ثم الأدبية لأي مجتمع . و إن كان انهيار قيمة ، أو مبدأ معين لدى أي مجتمع يتم إحلالها بقيمة أخرى ، أو مبدأ آخر تبعًا للظروف ؛ فإن انهيار القيم و الأخلاق المواكبة للحروب تختلف في كنهها عن التغييرات الأخلاقية الناتجة عن أي سبب آخر ، و سبب ذلك أن الحرب عندما تدمر القيم التي يقوم عليها المجتمع لا تحل هذه القيم و المباديء فورًا بأخرى ؛ مما يدفع المجتمع للسقوط في حالة من التخبط القيمي و الأخلاقي لفترة ما إلى أن يسترد المجتمع وعيه ، و بناءً عليه يتدهور المعنى الأصلي للإنسان و ينهار تواجده المجتمعي."[2]

---

[1] انظر رواية ما بعد الحرب في كوريا ، صفحة13.

[2] انظر الرواية الكورية المعاصرة و منطق الوضع ، صفحة189.

شرع أدب الخمسينيات في كوريا في إعادة بناء منظومة القيم المنهارة ، و ركز أدباء تلك الفترة على تصوير واقع الحرب المأساوي ، و ظروف المجتمع بعد الحرب و الجوانب الداخلية للإنسان ، وركزوا على الوجود الإنساني.

الاتجاهات الأدبية لأدب ما بعد الحرب في كوريا:

تعد "الوجودية" أحد التيارات الأدبية التي تناولت فترة أزمة ما بعد الحرب ، و قد تم تعريف الوجودية بمفهومها الأدبي في كوريا في بداية الثلاثين يات ، و لكن هذا التعريف لم يتخط نقل الوجودية بمفهومها الغربي كما هي دون تطبيقها على المجتمع الكوري . و قد زاد الاهتمام بالوجودية بعد ذلك ؛ حيث نظر إليها مع "الإنسانية" على أنهما بعض اتجاهات التصدي لأزمات الحرب المتفاقمة ، و لكن في هذه الحقبة لم يكن هناك تمييز حتى في أوروبا بين النظريتين الوجودية و الإنسانية ؛ فالوجوديون حتى سارتر كانوا يعتقدون بشمولية النظرية الإنسانية للوجودية.[1]

يقول ألبير كاموي [2] أن الحرب هي عبارة عن جريمة منطقية [3] ، كما يؤمن بأحقية الإنسان في القتل ، أو الحق في الموافقة على قتل إنسان آخر من منطلق الفلسفة الوجودية التي تركز على الإنسان ذاته ، و لكننا نجده بعد ذلك يتحول من الإيمان بالفلسفة الوجودية إلى العبثية.

بعد الحرب العالمية الأولى ، و ظهور النظرية الوجودية في الغرب ، أصبح من الصعب إجمال التيارات الفكرية العالمية في نظرية واحدة ، و زاد الاهتمام بموضوع المشاركة

---

[1] انظر الوجودية مذهب إنساني ، ترجمة عبد المنعم الحفني ، الدار المصرية ، ط1 ، 1964 ، ص6.

[2] ألبير كامو : فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي-جزائري، وكانت مسرحياته وروایاته عرضا أمينا لفلسفته في الوجود والحب والموت والثورة والمقاومة والحرية، وكانت فلسفته تعايش عصرها، وأهلته لجائزة نوبل فكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء. وتقوم فلسفته على كتابين هما "أسطورة سيزيف" 1942 والمتمرد1951 أو فكرتين رئيسيتين هما العبثية والتمرد ويتخذ كامو من أسطورة سيزيف رمزاً لوضع الإنسان في الوجود، وسيزيف هو هذا الفتى الإغريقي الأسطوري الذي قدّر عليه أن يصعد بصخرة إلى قمة جبل، ولكنها ما تلبث أن تسقط متدحرجة إلى السفح، فيضطر إلى إصعادها من جديد، وهكذا للأبد، وكامو يرى فيه الإنسان الذي قدر عليه الشقاء بلا جدوى، وقُدّرت عليه الحياة بلا طائل، فيلجأ إلى الفرار أمامإلى موقف شوبنهاور : فطالما أن الحياة بلا معنى فلنقض عليها بالموت الإرادي أو بالانتحار، وإما إلى موقف اللآخرين الشاخصين بأبصارهم إلى حياة أعلى من الحياة، وهذا هو الانتحار الفلسفي ويقصد به الحركة التي ينكر بها الفكر نفسه ويحاول أن يتجاوز نفسه في نطاق ما يؤدي إلى نفيه ، وإما إلى موقف التمرد على اللامعقول في الحياة مع بقائنا فيها غائصين في الأعماق ومعانقين للعدم ، فإذا متنا متنا متمردين لا مستسلمين.

[3] انظر المتمرد ، ص15.

الاجتماعية من خلال نظريتي الوجودية و الإنسانية في أوروبا و خاصة فرنسا ، و حيث بدأت نقطة الانطلاق لفلسفة الوجودية مع كييركيجارد الفيلسوف الدينماركي الأصل ؛ و في نظره فالوجودية تعني الوجود الواقعي للإنسان بمعنى الوجود الفردي للإنسان.

يقول مون يونج جن في بحثه عن أدب الخمسينيات في كوريا أن أدب الخمسينات يبدأ من بعد الحرب الكورية ، و حتى التاسع عشر من إبريل عام 1960.[1] و يعد أدب الخمسينيات مهمًا جدًا كونه نقطة الانطلاق للأدب الكوري الحديث . و كما أحدثت الحرب في المجتمع تغييرات كبيرة و مفاجأة ، فقد أحدثت بالضرورة تأثيرًا صادمًا في الأدب ؛ ولهذا فتلك الحقبة لها أهمية كبيرة و أساسية عند دراسة الأدب الكوري الحديث و تحليله.

و إذا تحدثنا عن الواقعية النقدية و دورها في أدب ما بعد الحرب في كوريا نجد أن هذا الاتجاه الأدبي قد أسهم في رسم الظروف النفسية و الفكرية لدى الكوريين في فترة ما بعد الحرب ؛ فقد أسهم هذا الاتجاه الأدبي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في وصف حال المجتمع إبان الحرب الكورية ، و نقد حال الإنسان و ما آل إليه واقعه بعد الحرب . و ربما لم تعن الواقعية النقدية في الرواية ما بعد الحرب في كوريا بتصحيح أخطاء المجتمع التي ترتبت على ظروف الحرب بشكل مباشر؛ إذ ركزت تياراتها الأدبية على وصف حال الإنسان و معاناته ، و بيان حجم الفقد و الخسارة و التغييرات الفكرية التي انتابته و أثرت على حياته بعد الحرب.

يقول بيتروف : "يشكل عصر التنوير مرحلة جديدة في تطور الواقعية وفي نشوء الواقعية النقدية .ففي القرن الثامن عشر تنهض أمام الفكر الاجتماعي والأدب، بأكثر حدة منها في زمن شكسبير، قضية المجتمع والوسط الاجتماعي وتأثيره على الإنسان."[2]

و جدير بالذكر أن نبين اتجاهات الواقعية و التي تنقسم إلى ثلاثة اتجاهات .

أولًا : الواقعية الاشتراكية ؛ و هو اتجاه أدبي يميل في مجمله إلى تحفيز الانسان على مواجهة

---

[1] انظر رواية الخمسينات و ما بعد الحرب ، صفحة87.

[2] انظر الواقعية النقدية في الأدب لبيتروف ، ص3.

الظروف القاسية و البحث عن مخرج لأزمته ، و قد ازدهر هذا الاتجاه بعد الثورة البلشفية [1] في روسيا. و الاتجاه الثاني من اتجاهات الواقعية هي الواقعية النقدية التي سنتناولها بالتفصيل ؛ أما النوع الثالث فهو الطبيعية التي ترتبط بالتجارب العلمية و نتائجها.

"بيد أن هذا التمايز لا ينفي وجود نوع من التحالف بين الواقعية النقدية و الاشتراكية ، و هو تحالف له أسس الأيدولوجية العميقة ، و من أهمها الطالع القومي لكل مظاهر الثقافة ، وهو لا ينبع فحسب من الروح الشعبي ، و لا مما يراه البعض خصائص الجنس الخالدة التي لا تخضع للعوامل التاريخية ، و إنما هو ثمرة للطريقة الخاصة المميزة التي ينمو بها كل شعب تاريخيًا و اجتماعيًا بفضل المؤثرات التي تنصب عليه."[2]

إن فترات ما بعد الحروب عامة تفرض على المجتمعات ظروفًا مغايرة لأية أزمة أخرى ، و قد يترتب على تلك الظروف المأساوية ظهور أفعال لا إنسانية تستشري في المجتمعات و تهددها ، و هنا يأتي دور الواقعية النقدية التي يستخدمها الكتاب و الروائيون بوصفها اتجاهًا أدبيًا لمعالجة مشاعر الغضب و الحرمان التي يعانيها المجتمع بعد الحرب ، فتتناول هذه المظاهر بشكل تصويري مباشر حينًا ، أو بصورة تعبيرية بغية الكشف و الإصلاح حينًا آخر.

و تعتبر الواقعية النقدية هي أساس الاتجاه الواقعي في الرواية الكورية ؛ و ذلك لأنها أول اتجاه أدبي واقعي ظهر و تبلور من بين الاتجاهات الثلاثة ، ثم تلاه بعد ذلك الواقعية الاشتراكية. كانت الواقعية النقدية هي الوحيدة القادرة على استيعاب حالة التخبط التي مر بها المجتمع الكوري بعد الحرب ، و على التعبير عن معاناة الناس و صدمتهم ؛ و لهذا فقد نهج الكتاب في تلك الفترة اتجاهًا نقديًا في وصف المجتمع و حالة الناس.

يقول ويلك : " و لنقل إن الواقعية هي "التمثيل الموضوعي للواقع الاجتماعي المعاصر". أعترف أن هذا يقول القليل ، و يثير الأسئلة حول معنى "الموضوعية" و معنى "الواقع". و لكننا يجب ألا نتسرع في إثارة الأسئلة النهائية ، بل يجي أن ننظر إلى هذا باعتباره سلاح جدل ضد الرومانسية باعتباره نظرية استبعاد و ضم ، ترفض الإغراب." [3]

---

[1] الثورة البلشفية أو ثورة أكتوبر كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام1917 قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين ويده اليمنى جوزيف ستالين وكامل الحزب البلشفي والجماهير العمالية بناءً على أفكار كارل ماركس وتطوير فلاديمير لينين؛ لإقامة دولة اشتراكية وإسقاط الحكومة المؤقتة ، وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين.

[2] انظر منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، ص56.

[3] انظر مفاهيم نقدية لرينيه ويليك ص165.

بعد الحرب اتجه تفكير الكوري إلى الاعتقاد بأنه ضحية هذا العنف الذي صار، و سيطرت هذه الفكرة على كل تفكيره ، و صار يرى كل أمور حياته من منظورها. و منظور الضحية في أغلبه يميل لأن يرى كل توجهات المجتمع من حوله معادية له ؛ فيتجه إلى نقد هذا المجتمع و توبيخه في مراحل حياته.

الخصائص الأدبية لروايات سون تشانج سوب:

يقول هونج تشي سو في بحثه الصادر عام 2001 عن أعمال سون تشانج سوب الأدبية " هناك إلى الآن الكثير من القراء و الأدباء ممن يرون أن أعمال سون تشانج سوب دائمًا ما تحوي شخصيات متشائمة تعاني من واقع مظلم ، و لكن لابد ألا ننظر للكاتب من هذا المنظور فقط ؛ فسون تشانج سوب روائي معاصر لفترة الحرب و ما بعدها ، و لذلك فلابد لأعماله أن تعكس المرحلة الحياتية التي يمر بها الشعب الكوري ، و إلا ما كان للأدب أن يكون مؤديًا لدوره الفني في خدمة المجتمع إذا انفصل عن دوره في وصف حياة الناس ، و راح يخدم نواحي أخرى ، و أحرى بنا أن ننظر إلى شخصيات سون تشانج سوب على أنها شخصيات إبداعية مميزة استطاعت أن ترسم من خلال سلوكها في الرواية ملامح الحقبة الزمنية التي عاشتها كوريا بعد الحرب".[1]

و يقول هان سانج سو في بحثه الصادر عام 2000 عن الشخصيات في روايات أدب ما بعد الحرب أن سون تشانج سوب برع في وصف الإنسان المتهالك و حياته البائسة ، و قد يكون ذلك - طبقًا لما قاله هان سانج سو- هو انعكاسًا لأجزاء من شخصية سون تشانج سوب نفسه ، و قد يكون الإبداع الروائي في شخصيات سون تشانج سوب هو كشف لسلبيات فترة ما بعد الحرب و تعريتها أمام القارئ.[2]

تناول أدب ما بعد الحرب في معظمه عرض المشكلات غير المنطقية و حتى الصغير منها ؛ تلك المشكلات التي تولدت عن الظروف القمعية للحرب ، والعنف الذي يولد الضحية ، فتناولت الأعمال الأدبية عرض الحياة البائسة للإنسان إبان الحرب و بعدها .

إن الأثر الذي أوجدته الحرب أثر ذو مرحلتين ؛ المرحلة الأولى ذلك الأثر المباشر للحرب من خراب و تدمير و فقدان لأشخاص نعرفهم و ممتلكات و غيرها من التأثيرات المباشرة ، و المرحلة الأخرى هي مرحلة اليأس و انعدام الأمل و انهيار منظومة القيم و الأفكار في الفترة التي تلت الحرب.

---

[1] انظر شخصيات روايات سون تشانج سوب ، ص iii.

[2] انظر الوعي الواقعي في روايات ما بعد الحرب في كوريا ، ص165.

و قامت رواية ما بعد الحرب بوصف تلك الظروف التي عاشها الإنسان عن طريق عرض الصورة الواقعية للمجتمع و الإنسان في بؤرتها بصفته ضحية للظروف .

و جدير بالذكر هنا أن ننوه إلى أن نماذج الشخصيات في الأعمال الأدبية بعد الحرب لم يكونوا جميعًا ضحايا ؛ فهناك إحساس بالذنب عاشته بعض الشخصيات أيضًا ؛ فالشخصيات التي جاءت في دور الضحية من السهل تفهم نوع العنف الذي عاشته ، و جعلها تؤول إلى ما هي عليه ؛ أما الشخصيات التي جاءت في دور المذنب فتشابكت أشكال العنف و صوره التي واجهتها و أثرت بها.

إذا ما نظرنا إلى رواية "إنسان بلا قيمة" لسون تشانج سوب نجد أن الشخصيات تنوعت ما بين ضحايا و مذنبين ، و هذا ليس معناه هو تمثيل كل شخصية بعينها لدور واحد منها إما مذنب أو ضحية ؛ و لكن كل شخصية في الرواية اتسمت بعوامل الشخصيتين المذنب و الضحية ؛ فنجد أن شخصيتي كل من بونج أو و إك تشون في ظاهريهما ضحية المجتمع و ظروف الحرب ؛ حيث فقدا عمليهما و أصبحا بلا قيمة و عاشا حياة الخوف و انعدام المستقبل ، و لكن في المقابل تحمل هاتان الشخصيتان أيضًا صفات المذنب ؛ حيث إنهما عاطلان عن العمل و يمثلان عبئًا على المجتمع و على أفراده ؛ و لذلك فهم ا مذنبلن بحق بلدهما و بحق المجتمع.

يقيم الأدباء و النقاد روايات سون تشانج سوب بأنها من أكثر الروايات تمثيلًا لفترة الخمسينيات من حيث خصائص تلك الفترة و مميزاتها ، كما تقدر أعماله الأدبية لاتسامها بخصائص الرواية الواقعية و احتوائها على التقنيات الفنية المعرفية المهمة التي يستدل منها على المميزات و العناصر التكوينية لحقبة الخمسينيات.

و يرجع تقييم الأدباء لتميز روايات سون تشانج سوب في الأدب الكوري الحديث إلى تشكيل الشخصيات في رواياته ؛ فالمعنى الواقعي النصي لروايات سون تشانج سوب يتأتى من تكوين شخصيات رواياته ؛ حيث يجعل الكاتب مميزات شخصياته و خصائصها مختلفة عن شخصيات أي أعمال أدبية أخرى.

و إذا نظرنا إلى روايات سون تشانج سوب و منها رواية "إنسان بلا قيمة" نجد التجارب الإنسانية لشخصيات تعيش بلا عمل في ظروف اقتصادية سيئة خاصة في الضواحي الجنوبية فترة بعد الحرب ، ونجد أن الكاتب لا يرجع سبب حالة البطالة و انعدام القدرة للأشخاص

بإشارة مباشرة إلى الحالة الاقتصادية للمجتمع . و انتشر استخدام لفظة "إنسان بلا قيمة " أو "اللاقيمة" في الأدب الكوري بعد رواية "إنسان بلا قيمة" لسون تشانج سوب ، و لفظة اللاقيمة في ذاتها قد انتشرت في أواخر القرن التاسع عشر في روسيا كاستخدام نقدي ، و تشير تلك اللفظة إلى حالة الإهمال المجتمعي للشخصيات في الأعمال الأدبية.

و كما يقول بارك تشي سوك في بحثه الصادر عام 2001 : " الشخصيات الأدبية التي نطلق عليها شخصيات بلا قيمة تعيش مجسدة أزمتها في البحث عن هوية بعد الحرب و في رحلة تلك الشخصيات للبحث عن هوية تؤسس لواقع آخر محوره الأساسي "الوجودية الإنسانية"."[1]

المكان في رواية ما بعد الحرب هو حيز معقد يمكن تقسيمه و فصله إلى عالمين : داخل و خارج ، متجانس ، و غير متجانس ، لكن التجربة الإنسانية للإنسان بعد الحرب و الذي نصفه بإنسان بلا قيمة تتشكل بعيدًا عن ذلك الواقع المجتمعي لتدلل لنا على انفصال تلك الشخصيات إجباريًا عن واقعها لعدم قدرتها على الاندماج فيه ؛ فمثلًا المكان في الرواية محل الدراسة هو عيادة الطبيب ، والتي تمثل حيزًا صغيرًا من الواقع و تعمل كفاصل عازل لهذه الشخصيات - التي وصفت بأنها شخصيات بلا قيمة – عن المجتمع المحيط بكل مشكلاته.
عيادة الطبيب هنا تمثل عالمين متضادين الأول بوصفه كمكان بالمحدودية ؛ مما يضف عليه طبيعة عدم الاندماج و التجانس مع المجتمع ؛ فالشخصيات تذهب لهذا المكان لتبتعد عن مشكلات الواقع و لا تختلط بها ، و العالم الآخر هو العالم الذي اختارته الشخصيات لتعيشه بعيدًا عن المشكلات ؛ فنجد إك تشون ينقد الواقع من منظوره هو و من خلال الجريدة فقط دون أن يواجه مشكلاته الشخصية ، و نجد بونج أو الذي يترك زوجته و لا يواجهها بأفعالها و يتفرغ لحب الممرضة.

و إذا نظرنا للمعنى الحرفي للفظة إنسان بلا قيمة نجد أنها تعني حرفيًا الشخص الذي ليست منه أيّ فائدة و لفظة اللاقيمة هنا لا تشير إلى قيمة كمالية و لكنها تعني أن هذا الإنسان لا يضفي أية فائدة و انعدامه أفضل من وجوده.

و عودة إلى رواية سون تشانج سوب محل الدراسة "إنسان بلا قيمة" ؛ نجد أن تلك الشخصيات المقصودة في روايته هما تشي إك تشون و تشون بونج أو . أولًا تشي أوك تشون : فهو شخص حاد في تفكيره و كثير النقد لواقع المجتمع بطريقة حادة ، و لديه إحساس عدائي

---

[1] انظر روايات سون تشانج سوب في الخمسينيات – التكوين السردي لروايات ما بعد الحرب ، ص1.

تجاه حال مجتمعه دون القيام بأي دور يذكر لتصحيح حال هذا المجتمع ، و بهذا يمثل تشي إك تشون دور الشخصية بلا قيمة في الرواية.

تشي إك تشون يطرح بينه و بين المجتمع و الواقع الذي يعيش فيه مساحة و مسافة تفصله عن هذا الواقع ، و لكن لا يمكننا اعتبار هذه الحالة ناتجة عن يأس و إحباط و لكنها نابعة من المتاعب و المشكلات التي عاشتها الشخصية و عدم تقبل المجتمع لها بعد الحرب.

يبدأ تسليط الضوء على حالة اللاقيمة لإك تشون من خلال محاولته لنقد المجتمع بعد قراءته لمقال بجريدة قرأها في عيادة صديقه سو مان كي الضيقة ، و هذه المحاولة منه لنقد المجتمع بغض النظر عن أهميتها من عدمها تنفي صفة السلبية و الاستسلام عن الرواية و تؤكد على النظرة الإيجابية و رغبة الشخصيات بالاندماج بغض النظر عما يقومون به من أجل تحقيق ذلك الاندماج.

نجد أن إك تشون يقوم قصدًا بعزل نفسه عن الواقع و إقامة جدار حاجز بينه و بين المجتمع عن طريق ذهابه كل يوم إلى عيادة صديقه ، و التنفيس عن سخطه من حال المجتمع و الوطن من خلال ثورته على مقال في جريدة ، و بهذا يمكننا تلخيص سلوك إك تشون أنه شخصية بلا قيمة حصرت نفسها في إطار منفصل عن المجتمع بعدما تأثرت بظروف الحرب ، و رفضت الاندماج المباشر و حاولت تغيير الواقع و آثرت التقوقع داخل العيادة التي تمثل الحيز المكاني الأساسي لاحتواء شخصيات الرواية ، و يتضح جانب اللاقيمة أيضًا في اعتماده على زوجته المريضة التي تقوم بالتجارة و تتولي شئون الأبناء عنه حتى أنه عندما تتوفى هذه الزوجة نجد أن سو مان كي هو من يحاول تدبير مصاريف الجنازة و الدفن مستعينًا بزوجة إك تشون ، و بهذا نجد أن إك تشون من المستحيل أن تتأكد هويته واقعيًا في المجتمع ، و لذلك هو يحاول أن يعبر عن سخطه و انتقاده للواقع من خلال صوته العالي و الحاد.

و الشخصية الثانية هي شخصية تشون بونج أو الذي تعيش زوجته حياة منحلة بممارسة الرذيلة بعلم منه ، و لكنه ينأى بنفسه عن ذلك الواقع و يرفض أن يعيش فيه أو أن يواجهه حابسًا نفسه داخل العيادة ، بل و يقع في غرام الممرضة إن سوك ، و يتبعها دون هدف كل يوم إلى بيتها ، و هو على حد تعبير سو مان كي نفسه " إنسان فقد مؤهلات الإنسانية" ، و هذه الشخصية تتوقف رغبتها في الاندماج في الواقع ، و تميل للهروب منه محاولة تشكيل عالمها الخاص الذي تتقوقع فيه رافضة العالم الخارجي .

و إذا جئنا للشخصية الثالثة و هي شخصية سو مان كي نجد أنه أيضًا رغم أنه طبيب أسنان ، و لديه عمله و ذو خلفية علمية جيدة ؛ إلا أنه أيضًا مسئول عن إعالة أسرته و أسرة زوجته بأكملها أي ما يقارب عشرة أشخاص ، وبذلك هو أيضًا لديه عبء ثقيل و يعاني ويلات الحرب. و يتمتع سو مان كي بمثالية مبالغة أخذها على الكاتب العديد من النقاد ؛ حيث عابوا عليه تلك المثالية الزائدة لشخصية سو مان كي الذي رفض إرضاء زوجة صديقه بونج أو رغم تهديدها له بأن تسلب منه العيادة التي تعتبر بالنسبة له مصدر الرزق الوحيد و المتاح.

" لم يكن مان كي ينام جيدًا، بالكاد كان دخل العيادة التي يعمل بها يكفيه هو و أسرة زوجته، و قد باع بيتًا ورثه من عائلته أيضًا و استأجر بيتًا، ورغم ذلك لم يشكو يومًا لعائلته أو يبوح بما في نفسه، و لم يتذمر منهم قط. كان مان كي يحتفظ بألمه و معاناته لنفسه فقط و لا يشارك آلامه مع أحد."[1]

و نرى من خلال عرض الشخصيات أن الشخصيات الثلاثة هم أصدقاء دراسة ، و لكن الحرب أثرت في حياة كل منهم بطريقة تختلف عن الآخر ، و لكن التأثير كان سلبيًا للثلاثة . اثنان منهم و هم إك تشون و بونج أو تحولا لا إراديًا إلى شخصيات سلبية منعدمة الطموح و الرؤية و متقوقعة داخل عالمها الخاص دون رغبة في مواجهة مشكلاتها أو محاولة حلها و معتمدة على غيرها ، و شخصية متعلمة نشأت في بيئة صالحة و درست الطب ، و لكن أيضًا تأثرت بظروف الحرب ، و انعكست عليها سلبًا ، و إن كان هناك اختلاف بين رد فعل كل شخصية تجاه الظروف المحيطة بها.

[1] انظر رواية "إنسان بلا قيمة" ص121.

الفصل الثالث: أوجه التشابه و الاختلاف:

خصائص الحربين الكورية و المصرية و انعكاسهما على الروايتين:

إن الظروف الاجتماعية المتشابهة تنتج أعمالًا أدبية تحمل فيما بينها الكثير من المتجانسات. قد تكون الدولتان بعيدت ين كل البعد عن بعضهما البعض ، ولكن تنشأ فيهما ظروف متقاربة تنعكس على الأدب الذي يعني بالتحليل و المقارنة نجده يرصد الكثير من المشابهات.

الحروب تزلزل القواعد القوية للدولة كلها ، و حالة الارتباك هذه لابد و أن تحدث في كل الدول التي تعاني من الحروب ، و عليه فإن الأدب يقوم بعكس فترة الحرب أو الفترة التي تليها.الحرب الكورية الجنوبية عام 1950 أدت إلى انهيار مجتمعي و تدهور بكل الدولة ؛ وأدى ذلك لانعدام ثقة المواطن بالدولة لعدم قدرتها على توفير احتياجاته ؛ مما ولد لديه حالة من التصدي للقانون و البحث عن طرق للمعيشة ، و بهذا وجدت الأعمال الأدبية التي توظف الوجودية مكانها بعد الحرب ، و أدرك الكوريون أنه بدلًا من الموروثات الاجتماعية و المباديء القديمة التي كانوا يلتزمون بها يجب عليهم أن يتجهوا لأساليب الحياة الواقعية التي تعينهم على مواجهة متطلبات الحياة.

تختلف فترة ما بعد الحرب في مصر قليلًا عن فترة ما بعد الحرب في كوريا ، فرغم أنه بعد نكسة 67 تحطمت آمال و المصريين و أحلامهم و اهتزت ثقتهم بعبد الناصر ؛ فإن التأثير الأوضح كان فقدهم ثقتهم بأنفسهم و ما آمنوا به طيلة السنوات التي سبقت الهزيمة.

آمن المصريون بعد نجاح ثورة 1952 بأن دولتهم قوية ، و انسحق الإيمان القوي الذي آمنه المصريون بعبد الناصر و الجيش المصري بعد الهزيمة حيث تلقى الجيش المصري و الجيوش العربية الأخرى هزيمة ساحقة.

و كما ذكرنا سالفًا فإن محفوظ من الروائيين الذين تنبؤوا بالنكسة ، و هو ما نراه في العديد من رواياته الطويلة في تلك الفترة ، و على الرغم من ذلك فإننا لا يمكن أن ننكر أن تلك التنبؤات لم تحظ بأهمية كافية ، و هذا ما نراه من الصدمة التي أصابت المصريين جراء النكسة.

و على عكس ما حدث بكوريا الجنوبية بعد الحرب ، فإن المصريين فقدوا الأمل تمامًا و تحطمت أحلامهم ، و يرجع هذا لاختلاف طبيعة الحرب التي دارت في الدولتين ؛ فالحرب في كوريا كانت حربًا بين دولتين كانتا قبل الحرب دولة واحدة و أمة واحدة ،أما في مصر فالحرب كانت دائرة بين الدول العربية و خاصة مصر و إسرائيل ؛ ذلك العدو القديم و انتهت الحرب بفشل مصر و الدول العربية في الحرب أمام من يعتبرونها العدو الأكبر ؛ فكان ذلك بمثابة انهزام أممي و أخلاقي و حضاري لشعوب العرب و خاصة مصر.

و لاختلاف طبيعة الحرب في الدولتين ، فالنتيجة التي ولدتها الحرب في الدولتين أيضًا اختلفت ؛ ففي كوريا نجد أن الكوريين سعوا جاهدين لإعادة بناء منظومة القيم المنهارة ، في حين لم يستطع المصريون أن يباشروا هذا العمل ، لأن في مصر كانت هناك حاجة لحل سياسي أولًا ؛ و لهذا فحتى الأدباء المصريين لم يكن لديهم اهتمام بالحديث عن القيم المنهارة بقدر ما اهتموا بوصف الواقع و المجتمع بعد الحرب و الحياة المأساوية.

و ذهب الكتاب الكوريون إلى تصوير الحالة النفسية للشعب و المأساة التي يعيشونها و القيم التي فقدوها و ما يجب عليهم لاستعادة تلك القيم مرة أخرى ، أما الرواية المصرية بعد الحرب فعمدت إلى وصف حالة المجتمع و تصوير حياة الناس المنهارة و تناولت الرواية المصرية الحرب بطريقة مباشرة.

الرواية الكورية عرضت المأساة الإنسانية كمحور أساسي للرواية ، و لم يتعرض الروائيون لذكر الحرب بشكل مباشر ، و عندما كان يأتي ذكرها في الرواية كان ي أتي لتأكيد المعاناة الإنسانية.

أوجه التشابه و الإختلاف بين الروايتين:

إذا أتينا لعرض أوجه التشابه و الإختلاف سنبدأ أولًا بالمكان في الروايتين . المكان في الرواية الكورية هو عيادة مان كي . العيادة تمثل مكانًا ذا حيز محدود و مملوك لأحد الأبطال الأساسيين في الرواية ، و تمثل العيادة مكانًا أساسيًا لشخصيات الرواية ؛ حيث تمثل نقطة تلاقيه و نقطة تطور أحداث الرواية.

أما في "الكرنك" فالمكان هو قهوة الكرنك ، و على عكس العيادة فهي ليست مكانًا محدودًا ، و لكنها مكانًا مفتوحًا للجميع ، و تمثل أيضًا نقطة تلاقي للشخصيات المحورية في الرواية.

العيادة ليس مكانًا للحديث و الحوار في الأصل ، و لكن مكان لتلقي العلاج ، و لذلك فإن ذهاب الشخصيات إلى هناك للاسترخاء و الحديث يعتبر أمرًا استثنائيًا و غير معتاد ؛ أم ا القهوة فهي بالأصل مكان للحوار و الاسترخاء.

العيادة تمثل مكانًا للهروب من المجتمع و أعبائه ، و حالة الفشل التي عاشتها الشخصيتان اللتان وصفتا بأنهما شخصيتان بلا قيمة . هناك فقط تستطيع هاتان الشخصيتان الاختباء من مشاكلهما الحياتية دون مواجهتها ، لكن القهوة لا تمثل تلك القيمة ، فنجد أن حتى خالد صفوان الشخصية المكروهة من الجميع استطاعت أن تذهب إلى القهوة للاسترخاء ، بل و ذهبت أكثر من مرة ، و أكثر من ذلك أن قوات الشرطة هي الأخرى تستطيع أن تعتقل من تريد من القهوة في أي وقت.

العيادة و التي تمتلكها زوجة بونج أو تصبح مصدرً ا للقلق ؛ حيث تبتز زوجة بونج أو مان كي ، و عندما لم يستجب لها تأخذ منه العيادة ، و بهذا يفقد سو مان كي وسيلته الوحيد للعيش . بفقد العيادة تفقد الشخصيتان الموصوفتان بأنهما عديمتا القيمة مكان الهروب من الحياة الذي اعتادا عليه ، أما القهوة فتعتبر إلى حد ما مكان أكثر أمانًا من حيث استمراريته و أنه يفتح أبوابه لزائريه دائمًا.

العيادة تمثل الحاجز الفاصل بين الشخصيات و الواقع ، أما القهوة فهي مكان تلاقي الزبائن الذي يتبادلون فيه الأفكار و الأحايث و الآراء حول ما يدور حولهم ، و لذلك يعتبر المكان الذي تنطلق منه الأفكار لكيفية مواجهة الواقع . يقول سيزا قاسم : "تقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه."[1]

و إذا نظرنا إلى الحبكة في الروايتين ، فنجد أنه في الرواية الكورية يقدم الكاتب النتائج المترتبة على الحرب مظهرًا تأثير الحرب على حياة الناس و اقتصاد الدولة ، و لذلك نرى أنه بمجرد انتهاء الحرب اتجه الناس لاستعادة حياتهم و قيمهم . يعتبر المحرك الأساسي في رواية

---

[1] انظر بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، ص103.

"إنسان بلا قيمة" هو حياة الناس و اضطرابها ، و يعرف فرويد هذا الاضطراب على أنه رد فعل لحالة الخطر.[1]

أما عن الشخصيات ؛ نجد أن طريقة سون تشانج سوب و محفوظ تختلف من حيث تقسيم شخصيات الرواية. سون تشانج سوب يقسم روايته إلى سو مان كي و هو البطل و الذي يظهر كإنسان كامل بلا أية مشاكل ، ثم صديقيه الموص وفين بأنهما "بلا قيمة" و هما بونج أو و إك تشون ، و الشخصية الخصم و هي شخصية زوجة بونج أو ، و هناك الممرضة إن سوك التي تمثل شخصية مساعدة للبطل.

و في رواية الكرنك يستخدم محفوظ الرمزية في التعبير عن شخصيات الرواية حتى يعكس الظروف الإجتماعية بعد الثورة والنكسة ، فنجد أن قرنفلة صاحبة القهوة إمرأة في منتصف الأربعينيات مازالت تحتفظ بجمالها ، و تمثل جمال الفترة التي سبقت ثورة 1952، و من خلالها يريد محفوظ أن يخبر القاريء أن تلك الحقبة قبل الثورة لم تكن كلها سيئة ، و يمثل الثلاث شباب إسماعيل و زينب و حلمي فترة الثورة ، و مرحلة ما قبل النكسة ، فنجد أن هؤلاء الثلاثة كان لكل منهم رأي و اتجاه معين و فكر يختلف عن الآخر و لو قليلًا ؛ فإسماعيل آمن بالثورة و كانت لدية خلفية دينية ، و زينب آمنت بالثورة و مثلت الطبقة الفقيرة من الشعب ؛ أما حلمي فقد كانت أفكاره شيوعية و عارض أفكار الثورة.

يعتبر الخصم في رواية الكرنك هو جهاز المخابرات و بالأخص خالد صفوان . هذا الجهاز بالعديد من قياداته زرعوا الشك بين الناس حتى هؤلاء الذين آمنوا إيمانًا قويًا بالثورة و أيدوها ، و نجد أيضًا قوى شر أخرى تمثل العهد البائد الذي مثل جماله قرنفلة ؛ و هم عارف سليمان و زين العابدين و حتى حسب الله.

---

[1] Sigmund Freud's :1926, from the Psychoanalysis 13th edition of the Encyclopædia Britannica.